



MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : AN WAHAF  
Date : 9.10.98  
Photo No. : 275

## السياسة، لعلها تستعيد الوهم

بقلم سمير قصير

يصعب على أي كان أن يلوم المواطنين في هذا البلد أن شعروا بالهزيمة بسبب الطريقة التي ابلغوا بها اسم رئيس جمهوريتهم المقبل والتي كرسّت تحويل الاستحقاق الرئاسي تعييناً من فوق يجعل من عملية الانتخاب ومن التعديل الدستوري الذي سيسبقها مجرد إجراءين اداريين. ولكن هل نكف عند هذا الحد فنصاب بالاحباط؟ ام نرى وجهاً آخر للعمل، الا وهو تأكيد الحرص السوري؛ مرة اخرى، على التقيد بالاشكال الدستورية والمؤسسية المعمول بها في لبنان، وان يكن بهدف تجاوزها؟

ليس في السؤال ترف، ولا تشاطر، بل لعله على العكس يساعد في التفاد الى جوهر العلاقة اللبنانية - السورية الراهنة. فاذا كان الاصرار على ملاءمة الشكليات الدستورية (والبروتوكولية) يؤكد ان ما يعيشه لبنان مع سوريا ليس احتلالاً، كما يطيب للبعض الادعاء تبسيطاً، فإن الاصرار الملازم والمزمن على تجاوز روحية الدستور وتفريغ المؤسسات المدنية يدل في المقابل ان نظام المحمية القائم فعلاً لا ينزع الى تطوير نفسه نحو وضع يختصر مقداراً اكبر من الاستقلال الذاتي للدولة المحمية ومقداراً اقل من "الحماية" من الدولة الحامية.

ويجدر التنويه هنا، بالاستناد الى تجارب تاريخية مختلفة، ان نظماً يتأرجح ضمن مروحة واسعة من الاحتمالات تبدأ فوق عتبة الضم التام وقتئذٍ عند ما دون الاستقلال الذاتي. بقليل. اما في لبنان ما بعد الطائف الرهان المضمر أو المعلن عند العديد من الفاعلين على المستوى الاجتماعي، ان تكون في مسيرة تصاعديّة نحو المزيد من الاستقلال. يمكن هذا الرهان حكراً على المعارضين (وتحديداً "معارضين داخلياً"). فمثلاً انه تم تسويق المشروع الاعماري الذي بلوره الرئيس الحريري الى الحكم، ولدى اوساط مختلفة، لبنانية واجنبية، على انه اللبنة الاولى لاستعادة الاستقلال، وبالطريقة نفسها تم تقديم اعادة بناء المؤسسة مقدمتها الجيش، لدى اوساط اخرى، ايضا لبنانية واجنبية. اما التناقض الذي قد يراه البعض بين السعي الى المزيد من الانسحاب في منطق الحماية، فهو ليس الا تناقضاً ظاهرياً، والتاريخ على نخب سياسية او عسكرية ترعرعت في كنف دولة خارجية حامية ان اخذت مسافة منها. لكن هذا تحديداً ما نفتقده في لبنان حيث عمى "السياسية" على تشكيل الحقل السياسي الخاص بها، او اتما لم تسع ذلك. وهذا في النهاية ما يجعل "كلمة السر" تعطى في العنان دون احد حسناً للمعنى الذاتي عند هذه النخب (سمة كرامة، سمة جنوناً، ومع ذلك تبقى مفارقة كبرى، وهي ان الوهم، وهم مسيرة تصاعديّة الاستقلال، ما يكاد يتبدد نتيجة اختصار الانتخاب بالتعيين حتى تنبؤ بواسطة الكلام (السوري) الكبير عن "التغيير" وعن "لبنة" العديد التي ظلت في السنوات الاخيرة محكومة مباشرة بالرعاية السورية. تلك هي المفارقة التي ستطبع عهد اميل لحود اذا انتخب رئيساً الاسبوع المقبل. ونقول "اننا انتخب" وليس "عندما ينتخب" لا من بل وانما حرصاً على الشكليات الدستورية وعلى المعنى الذاتي للتوابع وربما ايضا على امكن اعادة انتاج الوهم...

اما كيف الخروج من المفارقة، فلا مجال للخطأ. لقد اختبرنا البلب كما الباب المؤسسي، ولم يتغير الكثير. وعلى اهمية كلا الملفين من الازمة الاقتصادية واصلاح الادارة، ثمة ما هو اهم، انه اعادة بناء لبناني. انه اعادة بناء السياسة في لبنان. فمن دون ولوج هذا البلد "لبنة" أي ملف، مهما تكن الثبة طيبة في سوريا. قطعاً، ليس الامتحان يسيراً، خصوصاً بالنسبة الى رجل امن عسكري. وليست تركيبة لبنان، في معزل عن وزن سوريا فيه، لهذه المهمة. فاذا كان من درس يستخلص من التجربة الشهابية فشلت اساساً لانها لم تقدر على انتاج حقل سياسي مستقل، بل بالزعامة التقليدية وهناك بالقبضيات (وفي جميع الانحاء بالعسكر) فريق عملها التحديتي من الادارة الى السياسة والتمثيل الوطني. ليس المطلوب من العماد اميل لحود ان يتصرف كمنزلة المطلوب ان يتسلح اولا برؤية سياسية، ويطلق العنان لاوسع نقاش المجتمع اللبناني، دون محرمات. أليس ذلك قدراً جميلاً لصامت كبيراً